

الوفاء بالعهود والعقود وأثره في حياة الأفراد والأمم

٦ شعبان ١٤٣٧ هـ / ١٣ مايو ٢٠١٦ م

أولا العناصر:

١. الوفاء بالعهد من مبادئ الإسلام وقيمه.
٢. الوفاء بالعهود في حياة الأنبياء والرسل (عليهم السلام).
٣. الوفاء بالعهد من صفات الصالحين .
٤. أنواع الوفاء بالعهود.
٥. مجالات الوفاء بالعهود مع الناس.
٦. ما يترتب على نقض العهود والإخلال بها .
٧. آثار الوفاء بالعهود في حياة الأفراد والأمم.

ثانيا الأدلة:

من القرآن الكريم:

١. قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [البقرة: ٤٠].
٢. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: ١].
٣. وقال تعالى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ} [الرعد: ١٩ - ٢١].
٤. وقال تعالى: {وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} [الأنعام: ١٥٢].
٥. وقال تعالى: {... وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧].
٦. وقال تعالى: {فَاتَّبِعُوا إِلَهُمَّ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ} [التوبة: ٤].
٧. وقال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} [النحل: ٩١].
٨. وقال تعالى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٤].
٩. وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد: ٢٥].

من السنة النبوية:

١. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَمْسَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) بَبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَيَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَسَيِّتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ: (يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَا هُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ) (رواه أبو داود).

٢. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا ، إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) (متفق عليه).
٣. وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ الْعَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اسْتِهِ فَيَقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فَلَان) (رواه ابن حبان).
٤. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَطْلُ الْعَنِيِّ ظُلْمٌ.....) (رواه ابن حبان).
٥. وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحَلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ) (متفق عليه).
٦. وَعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ مَا وَافَقَ الْحَقَّ) (رواه الحاكم في المستدرک).

ثالثاً: الموضوع:

الوفاء بالعهد قيمة خلقية وإنسانية عظمى، بها تُدعم الثقة بين أفراد الأسرة والمجتمع ، وتنمو أواصر التعاون فيما بينهم ، والوفاء بالعهد شعبة من شعب الإيمان ، فهو دليل صدق إيمان العبد وعنوان استقامته ، وهو خصلة من خصال المؤمنين الصالحين، ومنقبة من مناقب الدعاة المخلصين ، وهو أدب رباني جليل، وخلق نبوي كريم، وسلوك إسلامي حميد ، فمن أبرم عقداً وجب عليه أن يحترمه، ومن أعطى عهداً وجب عليه أن يلتزم به.

لذا أمر الإسلام بضرورة التحلي بخلق الوفاء بالعهود والعقود وحث على ذلك ، قال تعالى : {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٤] ، وقال تعالى : {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ اللَّهُ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [النحل: ٩١] ، أي: والتزموا الوفاء بكل عهد أوجبتموه على أنفسكم سواء فيما بينكم وبين الله أو فيما بينكم وبين الناس ، فيما لا يخالف كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، ولا تنكثوا الأيمان بعد أن أكدتموها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً وضامناً حين عاهدتموه.

والوفاء بالعهد صفة ربانية اتصف بها الحق سبحانه وتعالى ، حيث قال : {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ} [التوبة: ١١١].

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الوفاء بالعهد من سمات أهل الصلاح والإيمان ، قال سبحانه: {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّائِرِينَ فِي الْبُاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧] ، وقال تعالى: {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ٧٦].

وكذلك جعله الحق سبحانه وتعالى من صفات أولي الألباب وهم أهل البصائر النيرة بكتاب الله وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) فقال تعالى: {... إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ} [الرعد: ١٩-٢٠].

كذلك جعله الله (عز وجل) من صفات المؤمنين المفلحين ورثة الفردوس يوم الدين ، قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} [المؤمنون: ٨] ، وقد تكرر هذا الوصف بنصه في سورة المعارج ولكن الجائزة بعدها هي ما أخبر به الحق سبحانه عن أهل الوفاء بالعهد والعقود بقوله: {أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ} [المعارج: ٣٥].

ولما كان الوفاء بهذا الفضل وبهذه المنزلة تخلق به كل الأنبياء والرسل (عليهم السلام) قال الله تعالى في شأن سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام): {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم: ٣٧] ، وفي حق سيدنا إسماعيل (عليه السلام) قال جل شأنه: {إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم: ٥٤].

وهو من أخص خصائص سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة وبعدها ، فعن عبد الله بن أبي الحَمَسَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) بِيَعِّعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ: (يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَا هُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ) (رواه أبو داود).

وحتى في ساحة القتال لم يغدر (صلى الله عليه وسلم) ، بل وفى بالعهد حتى مع أعدائه ، فعن حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ (رضي الله عنه) قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي - حُسَيْلٌ - قَالَ: فَأَخَذْنَا كُفَّارَ قُرَيْشٍ قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ، فَقُلْنَا: مَا تُرِيدُهُ مَا تُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصُرَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ: (انصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَتَسْتَعِينُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) (رواه مسلم).

ونظراً لأهمية ومكانة الوفاء بالعهد والميثاق من أجل بناء الأمة على الأخلاق ، فقد أمر الله تعالى به في القرآن الكريم في أكثر من آية حتى يستقيم الناس على هذا الخلق الكريم الذي به صلاح الفرد والمجتمع.

والوفاء بالعهد على أربعة أنواع:

الأول: وفاء العبد بعهدده مع الله عز وجل ، وهو أعلى الأنواع قدراً ، وأولها بالوفاء ، قال تعالى: {وَأَوْفُوا بَعْهْدِي أَوْفِ بَعْهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [البقرة: ٤٠]، وقال تعالى: {وَأَوْفُوا بَعْهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [النحل: ٩١] ، ويتمثل هذا النوع بتحقيق معنى العبودية الخالصة لله (عز وجل)، والمحافظة على الالتزام بالأوامر واجتناب النواهي ، وتقديم شرع الله عز وجل وتأخير الهوى، قال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} [يس: ٦٠].

ومن صور الوفاء بالعهد مع الله عز وجل حسن التوكل والاعتماد عليه دون غيره ، مع الأخذ بالأسباب ، والإخلاص في الطاعة ، والمحافظة على الأعمال الصالحة والمداومة عليها ، مع الخوف من الله (عز وجل) وخشيته في السر والعلانية.

والثاني: الوفاء بالعهد مع الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، ويتحقق هذا النوع بحبنا الصادق لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتوقيره وتعظيمه ونصرتنا لشرعته ومحافظةنا على سنته ، والسير على نهجه ، وتصديقه في كل ما صح عنه (صلى الله عليه وسلم) وما وصلنا عنه بطريق صحيح مقبول ، ولنحذر من مخالفته (صلى الله عليه وسلم) ففي مخالفته شر مستطير ، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣].

والثالث: الوفاء بالعهد مع النفس ، فسعادة المرء مرهونة بوفائه مع نفسه ، لأنه لو كان وفاقاً مع نفسه لا لتزم بالوفاء مع الله ورسوله والناس أجمعين ، فالإنسان بإمكانه أن يكذب على كل الناس ، ولكن من المحال أن يخدع نفسه أو يكذب عليها ، ولتحقيق هذا النوع لابد من مجاهدة النفس وتزكيتها ، وعدم تحميلها أكثر من طاقتها.

والرابع: الوفاء بالعهد مع الناس ، وهذا النوع هو ثمرة الأنواع الثلاثة السابقة ، فالوفاء مع الله تعالى ، ومع رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ومع النفس مقدمات وأسس لا بد منها لتحقيق النتيجة وهي الوفاء بالعهد مع الناس ، فبه يتحقق التوادد والتآلف والتراحم والتعاطف بين جميع أفراد الأمة الواحدة ، فيصدق فيها قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ

الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى) (رواه مسلم).

وأولى الناس بالوفاء بالعهد معهم الوالدان والزوجة والأقارب والجار ، وعامة المسلمين ، حتى غير المسلم لو عاهدته على أمر فله عليك حق الوفاء بعهده ، قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ} [التوبة: ٤].

والعهد مع الناس له عدة مجالات يجب الحفاظ عليها :

منها: الالتزام بالعهود الزوجية : فلقد أولى الإسلام عقد الزوجية من الرعاية والعناية الشيء الكثير ، حتى سماه ربنا في القرآن الكريم بالميثاق الغليظ ، قال تعالى: {وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [النساء: ٢١]، هذا الميثاق الغليظ - ميثاق الزوجية - يتطلب من صاحبه ضرورة الوفاء به والالتزام بحقوقه ، والقيام بواجباته ، من رحمة وبر وحسن عشرة وحفظ للأسرار ، وأوصى النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بضرورة الالتزام به ، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحَلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ) (متفق عليه)، وكلما حافظ الأزواج على الوفاء بهذا الأمر كلما تحققت السكينة والمودة بينهما.

ولقد ضرب الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في الوفاء مع أزواجه وخاصة السيدة خديجة (رضوان الله تعالى عليها) حتى بعد مماتها وانتقالها إلى الرفيق الأعلى ، فعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) امْرَأَةً ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَطْعَامٍ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ وَيَضَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْمُرْ يَدَيْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ هَذِهِ كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ ، أَوْ حِفْظَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ) (رواه الطبراني). وعنها أيضا (رضي الله عنها) قالت : مَا غَرَّتْ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) مَا غَرَّتْ عَلَيَّ خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ؛ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ ، وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ) (متفق عليه).

ومن الصور المشرقة في تاريخ الإسلام لوفاء الزوجة مع زوجها ما روته كتب السيرة عن السيدة أم حكيم بنت الحارث بن هشام زوج عكرمة بن أبي جهل ، فقد أسلمت يوم الفتح ،

وهرب زوجها عكرمة إلى اليمن خوفاً من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولكن أبى وفاء هذه الزوجة الصالحة أن تترك زوجها ، فذهبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طالبة لزوجها الشفاعة ، فقبل النبي (صلى الله عليه وسلم) شفاعتها وأعطاهما العهد بالأمان لزوجها ، وعفى عن زوجها ، فسافرت إليه ومعها البشارة بالعمو والمسامحة ، والعهد بالأمن والأمان ، فكانت النتيجة أن هداه الله للإسلام وشرح له صدره ، فعن عبد الله بن الزبير (رضي الله عنه) قال: لَمَّا كَانَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ هَرَبَ عِكْرَمَةُ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ إِلَى الْيَمَنِ ، وَخَافَ أَنْ يَقْتُلَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وَكَانَتْ امْرَأَتَهُ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ امْرَأَةً لَهَا عَقْلٌ ، وَكَانَتْ قَدِ اتَّبَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنَ عَمِّي عِكْرَمَةَ قَدْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى الْيَمَنِ وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَأَمَّنُّهُ قَالَ: (قَدْ أَمَّنْتُهُ بِأَمَانِ اللَّهِ ، فَمَنْ لِقِيهِ فَلَا يَعْزُضْ لَهُ) . فَخَرَجَتْ فِي طَلَبِهِ فَأَدْرَكَتُهُ فِي سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ تِهَامَةَ ، وَقَدْ رَكِبَ الْبَحْرَ ، فَجَعَلَتْ تَلُوحُ إِلَيْهِ وَتَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّي ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصَلِ النَّاسِ وَأَبْرَأِ النَّاسِ وَأَخَيْرِ النَّاسِ ، فَلَا تُهْلِكْ نَفْسَكَ ، وَقَدْ اسْتَأْمَنْتُ لَكَ مِنْهُ فَأَمَّنَكَ ، فَقَالَ: أَنْتِ فَعَلْتِ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، أَنَا كَلَّمْتُهُ فَأَمَّنَكَ ، فَرَجَعَ مَعَهَا ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِأَصْحَابِهِ: (يَأْتِيَكُمُ عِكْرَمَةُ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ مُؤَمِّنًا مُهَاجِرًا ، فَلَا تَسُبُّوا أَبَاهُ فَإِنَّ سَبَّ النَّمِيَّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ وَلَا يَبْلُغُ النَّمِيَّتِ) ، قَالَ: فَقَدِمَ عِكْرَمَةُ فَانْتَهَى إِلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَزَوْجَتُهُ مَعَهُ مُنْتَقِبَةٌ. قَالَ: فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَدَخَلَتْ فَأَخْبَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِقُدُومِ عِكْرَمَةَ فَاسْتَبَشَّرَ وَوَتَّبَعَ قَائِمًا عَلَى رِجْلَيْهِ ، وَمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رِداءً فَرحًا يَعِكْرَمَةَ ، وَقَالَ: (أَدْخِلِيهِ) ، فَدَخَلَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرْتَنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (صَدَقَتْ فَأَنْتِ آمِنٌ). قَالَ عِكْرَمَةُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَقُلْتُ: أَنْتَ أَبْرَأُ النَّاسِ ، وَأَصْدَقُ النَّاسِ ، وَأَوْفَى النَّاسِ ، أَقُولُ ذَلِكَ وَإِنِّي لَمَطْطِئُ الرَّأْسِ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَغْفِرْ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُهَا أَوْ مَرَكَبٍ أَوْضَعْتُ فِيهِ أُرِيدُ بِهِ إِظْهَارَ الشَّرْكِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعِكْرَمَةَ كُلِّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا ، أَوْ مَنَاطِقٍ تَكَلَّمَ بِهَا ، أَوْ مَرَكَبٍ أَوْضَعَ فِيهِ يُرِيدُ أَنْ يُصَدَّ عَنْ سَبِيلِكَ) (الطبقات الكبرى لابن سعد).

ومنها: ما يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس ، بيعاً وشراءً ، فيجب الوفاء بما تم شرطه

لقول النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) : (المُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ) (رواه البخاري) ، وعن

عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ مَا وَاقَقَ الْحَقَّ) (رواه الحاكم في المستدرک).

ومما يتعلق بهذا الأمر ضرورة الوفاء بالعهد كَيْلاً ووزناً ، وعدم الغدر بخسه أو تطفيفه ، قال تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} [الأنعام: ١٥٢] ، أيضا ضرورة الوفاء بالأمانات ، وسرعة سداد الديون وعدم المماطلة لما فيها من ظلم لصاحب المال ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَطْلُ الْعِنِيِّ ظُلْمٌ.....) (رواه ابن حبان).

إن نقض العهود وعدم الوفاء بها علامة من علامات النفاق التي بينها لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) وحذر منها أشد التحذير ، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدْعَهَا إِذَا أُوتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) (متفق عليه) ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (آية المنافق ثلاثٌ : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان) (رواه البخاري).

ولم يكتف الأمر بوصف الغادر منافقاً فحسب ، بل إنه ينصب له يوم القيامة لواء يعرف به بين الأشهاد ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ الْعَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اسْتِهِ فَيُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ) (رواه ابن حبان) ، ويستوجب الغدر اللعن وهو الطرد من رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ويؤدي إلى قسوة القلب فلا تنفعه موعظة ولا تؤثر فيه آية ، قال تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ...} [المائدة: ١٣].

إن الإسلام يمقت الغدر بكل صورته وأشكاله ، وينظر إلى من ينقض العهد نظرة احتقار وعدم تقدير ، ويعتبره إنساناً أحمق لا عقل له ، وشبهه القرآن الكريم بحال المرأة الحمقاء التي تنقض غزلها بعد أن جعلته خيطاً سوياً ومتيناً قوياً صالحاً للحياكة والنسج ، ثم تقبل عليه فتعيده إلى سيرته الأولى بحيث لا ينفع في أي شيء ، يقول تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُنَّ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ، أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ، إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [النحل: ٩٢].

إن الوفاء بالعهود والعقود المعتبرة شرعا البعيدة عن الظلم والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل واستباحة الأموال والدماء والأعراض من أهم سبل تحقيق الأمن في المجتمع ، ويعود أثرها وثمراتها على الفرد والمجتمع ، أما الفرد فيعود عليه الوفاء بالوعد بمحبة الله عز وجل ورضوانه ، قال تعالى: {بَلَى مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٧٦] ، وكفى بذلك من فضل على من تخلق بالوفاء بالعهد ، فمن أحبه الله حرمه الله على النار ، وفتح له كل أبواب الخير ، وأغلق دونه كل أبواب الشر ، وهذا وعد الله لكل من وفى بالعهد ، قال تعالى: {وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَوْفَىٰ أَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ١٠].

ومن آثار الوفاء بالعهود على المجتمع نشر قيم المودة والرحمة والأمان والاستقرار وتزداد الثقة بين جميع أفراد الأمة الواحدة ، والمجتمع الذي يسوده الوفاء مجتمع فاضل متين قوي البناء، تظلله روح المودة والصفاء.

فما أحوج الإنسانية كلها إلى التخلق بخلق الوفاء بالعهد ليتحقق الخير للناس أجمعين.